

منطلقات الهندسة النفسية من الرهدي النبوي -

د بدرالدين ب. زواقة

استاذ الدعوة و الاعلام و الاتصال

- جامعة باتنة- الجزائر-

تميز العصر الحديث بأطروحات عديدة و أبحاث كثيرة حول التنمية البشرية ، من حيث تنمية المهارات و تطوير الابداع و من خلال انتشار علم البرمجة اللغوية العصبية ، و تبسيط علم النفس السلوكي ، حيث أصبح محل اهتمام العديد من الناس من اجل الاستفادة من هذا الطرح الجديد و توظيفه في تربية الاولاد و التفوق المدرسي و ادارة الحوار و تدريب القيادات ... الى غير ذلك من الدورات التدريبية والورشات التكوينية.

و المتابع لما يعرض لنماذج و الامثلة في التنمية البشرية من أفكار جديدة و متميزة ، نجد و بكل موضوعية ومنهجية أن الرسول صلى الله عليه و سلم من خلال سنته الفعلية و القولية و التقريرية كان يمارس هذه المهارات خاصة في عملية الاتصال الدعوي. حيث كان هذا العلم مسمى وفنا

وممارسة قبل أن يكون اسما و علما و تطبيقا.

وتدور موضوعات الهندسة النفسية و علم التمية البشرية و تتمحور حول الانماط البشرية و محاولة توصيفها، فقد قسم هذا العلم البشر من خلال التجارب و الملاحظات وإدراك الافتراضات المسبقة للبرمجة اللغوية العصبية الى ثلاثة أنماط بشرية، تستوعب البشر جميعهم باختلافاتهم المتنوعة.

و تتعلق هذا الانماط بـ:

❖ النمط البصري.

❖ النمط الحسي.

❖ النمط السمعي.

وقد اشار القرآن الكريم لهذا المعنى الدقيق من خلال التأكيد على مسؤولية الحواس الادراكية للإنسان وأهميتها في عملية التكليف و التشريف والتسخير، قال تعالى: "إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً"⁽¹⁾.

وفي هذا المجال "تقول الهندسة النفسية ان لكل انسان طريقته الخاصة في التفكير، وهذا الاختلاف في التفكير يرجع الى كيفية حصول الإدراك للعالم الخارجي عن طريق مركبات ثلاث: السمع البصر والفؤاد(مركز الاحساس والشعور)⁽²⁾.

وكل هذه الانماط لها خصائصها الخاصة من خلال توصيفها وتفاعلها، "حيث أن أنماط التفكير هذه... تدعى بالنظام التمثيلي *représentationnel* system... ولكل نمط من هذه الانماط (الصورية، السمعية، الحسية) خصائص وصفات و مزايا"⁽³⁾.

والمتصفح للسيرة النبوية يجد هذا الاتجاه النبوي في اعتباره واعتماده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله و أفعاله و تقريراته، وذلك باختيار المنهج المناسب للنمط المناسب.

يروى المحدثون وأهل السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يبدأ من لقيه بالسلام ، ويتبسم في وجهه، ويتكلم بكلام بين واضح، وربما أعاد الكلام أكثر من مرة ليفهم المخاطب مقصوده.

وهذه النصوص امثلة عن شخصية الرسول التواصلية والقيادية و الانسانية:

O وعن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: " ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم "⁽⁴⁾.

0 وعن عائشة رضي الله عنها قالت: " ما كان رسول الله يسرد كسر دكم هذا , ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه" (5).

0 ويروي أنس رضي الله عنه فيقول: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلاثا" (6).

0 حدثنا أحمد بن القاسم قال حدثني عمي عيسى بن المساور قال حدثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله : أن النبي كان يخطب إلى جذع فلما بنى المنبر حن الجذع فاحتضنه النبي فسكن" (7).

0 عَنْ زَيْدِ الْعَمِّيِّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ ، لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ الَّذِي يَنْزِعُ ، وَلَا يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُهُ ، وَلَمْ يُرْ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ" (8).

وكل هذه النصوص السابقة تأكيد لفقه النبي صلى الله عليه وسلم ولأنظمة التمثيلية الثلاث،

و كل هذا الهدى عبارة عن مهارات تعتمد حديثا في جودة الاعمال من خلال اختيار القيادات و المؤثرين و المدربين في شتى شؤون الحياة المعاصرة.

فكان هذا البحث المتواضع استقراء لاعتماد النبي صلى الله عليه وسلم فقه الانماط البشرية في عملية التبليغ و الدعوة و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر ،أو بما يسمى حديثا بعملية الاتصال الدعوي.

أولا: اساسيات الهندسة النفسية.

✓ النمط البصري:

يمثل هذا النوع من النمط الذين يعتمدون على البصر بشكل أساسي عادة ما يرون العالم على هيئة صور ، و لهذا يسمى بالنمط الصوري ،هذا الشخص يتحدث بسرعة وبصوت عال ، يأخذ أنفاسا قصيرة وسريعة دائم الحركة يتميز بالنشاط والحيوية ويعطي اهتماما كبيرا للصور والمناظر أكثر منه للأصوات

والاحاسيس خلال تجاربه وما يمر به من أحداث ، يأخذ قراراته على أساس ما يراه شخصيا أو على أساس تخيله للإحداث.

كما يكثر من استخدام عبارات (، ألاحظ، منظر، "شايف"، أتخيل ، واضح ، الصورة ، أرى ، شكل).

ومثال ذلك من السنة النبوية ما يلي:

0 أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنبَأَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ، ثنا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثنا أَبُو نُعَيْمٍ، قَالَ: وَحَدَّثَنَا حَقَّصٌ، ثنا قَبِيصَةُ، قَالَ: وَحَدَّثَنَا يُونُسُ الْقَاضِي، وَمُعَاذُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَا: ثنا ابْنُ كَثِيرٍ، قَالُوا: ثنا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: أَفَاضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ، وَأَمَرَهُمْ بِالسَّكِينَةِ وَأَوْضَعَ فِي وَادِي مُحَسَّرٍ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرْمُوا الْحِجَارَ مِثْلَ حَصَى الْخَذْفِ وَقَالَ: "خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ لَعَلِّي لَا أَرَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا"⁽⁹⁾.

و تعتبر السنة الفعلية مسلكا كان يعتمد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعليم العبادات التي تحتاج الى محاكاة الفعل (و هذا معنى الدراما)، ان اغلبية الناس البصريين تتجاوب مع الفعل المصور المحاكي للواقع، فيبقى في اذهان المقتدين من خلال ما يسمى بالصورة الذهنية. و قد قرر علماء الاعلام أن "الصورة اقوى من ألف كلمة".

2- النمط الحسي:

أصحاب هذا النمط تكون استجاباتهم الأساسية للمشاعرو الاحاسيس، والشخص الذي يمثل هذا النمط يتميز عادة بالهدوء ويتحدث بصوت منخفض ، ويتنفس ببطيء وعمق ويعطي اهتماما أكبر للشعور والاحاسيس عن الأصوات والصور ، يأخذ قراراته بناء على أحاسيسه وقد يكون من الممكن أن يؤثر الآخرون على أحاسيسه وبالتالي على قراراته ، وهو يكثر من استخدام عبارات (أشعر ، أحس ، ضغط،بارد ، حار، مريح،هادئ، ناعم).

ومثال ذلك من الهدي النبوي:

O صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّبْحُ ثُمَّ وَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْأَعْيُنُ وَوَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةٌ مَوْدِعٌ فَأَوْصِنَا قَالَ أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبِشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مَنْ بَعْدِي وَعَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمَحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ⁽¹⁰⁾.

ان اعتماد الرسول الى مخرجات دلالية حسية لاستيعاب هذا النوع من النمط ،من خلال اثارة العواطف و الأحاسيس و المشاعر و اعتماد المنهج الدعوي العاطفي .

3-النمط السمعي:

أصحاب هذا النمط يميلون الى انتقاء الكلمات التي يستخدمونها في حديثهم ،و صاحب هذا عادة ما يستخدم طبقات صوت متنوعة في التحدث ، يتنفس بطريقة مريحة ، متزن ويتميز بقدرته الشديدة على الإنصات للآخرين بدون مقاطعتهم ، يعطي اهتماما أكثر للأصوات عن المناظر والأحاسيس خلال تجاربه وما يمر به من أحداث ، يأخذ قراراته على أساس ما يسمعه وعلى تحليله للموقف .ويكثر من استخدام عبارات (اسمع ، صوت ، نبرة، كلام ، إيقاع ، صدى ، موسيقى ، صمت).

ومثال ذلك من مرعاة النبي صلى الله عليه و سلم لهذا النمط ما يلي:

O حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَرَّةَ الصَّنْعَانِيُّ، ثنا هِشَامُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَبُو الْوَلِيدِ الْمَخْزُومِيُّ، ثنا مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ عَبْدِ الْقُدُّوسِ بْنِ حَبِيبٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «يَا غُلَامُ أَلَا أَحْبَبُّكَ ، أَلَا أَنْجِلُكَ ، أَلَا

أُعْطِيكَ؟» ، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى ، يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ [ص:26]: فَظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَقْطَعُ لِي قِطْعَةً مِنْ مَالٍ ، فَقَالَ: " أَرْبَعُ تُصَلِّيَهِنَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَتَقْرَأُ أُمَّ الْقُرْآنِ وَسُورَةً ، ثُمَّ تَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً ، ثُمَّ تَرْكَعُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ، ثُمَّ تَرْفَعُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ، ثُمَّ تَفْعَلُ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا مِثْلَ ذَلِكَ ، فَإِذَا فَرَغْتَ قُلْتَ بَعْدَ التَّشَهُّدِ وَقَبْلَ التَّسْلِيمِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَوْفِيقَ أَهْلِ الْهُدَى ، وَأَعْمَالَ أَهْلِ الْيَقِينِ ، وَمُنَاصَحَةَ أَهْلِ التَّوْبَةِ ، وَعَزْمَ أَهْلِ الصَّبْرِ ، وَجَدَّ أَهْلِ الْخَشْيَةِ ، وَطَلْبَةَ أَهْلِ الرَّغْبَةِ ، وَتَعَبَدَ أَهْلِ الْوَرَعِ ، وَعِرْفَانَ أَهْلِ الْعِلْمِ حَتَّى أَخَافَكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مَخَافَةَ تَخْجِزُنِي عَنْ مَعَاصِيكَ ، وَحَتَّى أَعْمَلَ بِطَاعَتِكَ عَمَلًا أَسْتَحِقُّ بِهِ رِضَاكَ ، وَحَتَّى أَنْصَحَكَ فِي التَّوْبَةِ خَوْفًا مِنْكَ ، وَحَتَّى أُخْلِصَ لَكَ النَّصِيحَةَ حُبًّا لَكَ ، وَحَتَّى أَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ فِي الْأُمُورِ حَسَنَ الظَّنِّ بِكَ ، سُبْحَانَ خَالِقِ الثَّوَرِ ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ذُنُوبَكَ ، صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ، قَدِيمَهَا وَحَدِيثَهَا ، سِرَّهَا وَعَلَانِيَتَهَا ، وَعَمْدَهَا وَخَطَايَاهَا "(11) .

هنا مسلك اخر يتمثل في مراعاة أصحاب النمط السمعي الذي يتجاوبون مع النبرات الصوتية والمخرجات الصوتية والمقامات الموسيقية، فكانت المقدمات العاطفية مدخلا للاستجابة السماعية للذكر و النصيحة.

ثانيا: مفهوم الاتصال الدعوي .

1-الاتصال لغة :

ولأهمية الاتصال يجدر بنا أن نحدد مصطلحه لغويا ومعرفيا لنتمكن من إدراك أبعاده

المعرفية والحضارية ، فهو مشتق من الكلمة اللاتينية (COMMUNIS) ، والتي تعني في الفرنسية (COMMUN) ، ومعناها عام أو مشترك أو اشتراك ، ومن مادته انبتق مصطلح (COMMUNIS) الذي يفيد معاني نشر وبلغ وأعلم وأعلن وفهم ونقل ، وهو في الإنجليزية (COMMON) أي مشترك أو اشتراك⁽¹²⁾ .

✓ الاتصال اصطلاحاً :

تبين من المعنى اللغوي أن الاتصال هو الالتقاء والاحتكاك والتماس والاشتراك ، وقد وردت لدى الدارسين تعريفات متعددة للاتصال يتفق معظمها حول المعنى الدقيق للعملية الاتصالية وتقدم في مجملها تصوراً مشتركاً لمصطلح الاتصال من جهة ، ولمصطلح العملية الاتصالية من جهة ثانية . وأشهر هذه التعاريف ما يلي :

✓ فقد عرفه (هوفلاند) بقوله : ((إن الاتصال هو العملية التي ينقل بمقتضاها الفرد القائم بالاتصال منبهات))⁽¹³⁾ ، ويوافق في ذلك كل من (ريد فايلد) الذي يرى بأن الاتصال هو المجال المتسع لتبادل الحقائق والخبرات والآراء والمعلومات بين أفراد المجتمع الإنساني⁽¹⁴⁾ .

✓ فيما ذهب (جورج لندبرج) إلى تعريف الاتصال بأنه الإشارة إلى التفاعل القائم بواسطة العلامات والرموز⁽¹⁵⁾ ، متفقاً في تعريفه مع الباحثين (ريفرز) و (ديفيد برلو) اللذين يعدان الاتصال كل أشكال التعبير الإنساني ، والتي تشجع التفاهم المتبادل بالآخرين للتأثير فيهم عن عمد⁽¹⁶⁾ .

✓ فيما ترى الباحثة (جيهان أحمد رشتي) أن الاتصال : (هو العملية التي يتفاعل بمقتضاها مستقبل ومرسل الرسالة في مضامين اجتماعية معينة ، وفي هذا التفاعل يتم نقل أفكار ومعلومات ومنبهات بين الأفراد عن قضية معينة أو معنى مجرداً أو واقعا معينا)⁽¹⁷⁾ .

✓ فيما يعتبر الباحث (زين العابدين الركابي) الاتصال بأنه هو : ((الجهد الإنساني الهادف إلى إنشاء صلة بالناس أو تحسين صلة على أساس عقدي أو مهني أو مصلحة .. مصداقاً لقوله تعالى : (ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون)⁽¹⁸⁾ .

ومن خلال التعاريف السابقة يتبين لنا ان عملية الاتصال هي :

- عملية نقل وتبادل مشترك للآراء والأفكار والحقائق والمعلومات والأبناء والرسائل والقيم .

- عملية تفاعلية وتأثير بين المرسل والمستقبل .

- عملية تواصلية متكاملة (مصدر . رسالة . رموز . وسيلة . هدف . مستقبل)

- عملية إنسانية ، إذ لا نستطيع اعتبار الاتصال الحيواني أو غيره اتصالاً لأنه يتم بدافع غريزي .

- عملية رمزية: (حركية. مصورة. تشكيلية. منطوقة مكتوبة. مسموعة..)
والتميز عملية تمر بمراحل من المرسل الى المستقبل و تكون اهميتها خاصة اذا كان المستقبل انها القدرة في فهم الرموز و تشفيرها .

- تعتمد على الوسيلة " القناة " اختلافها وتنوعها .

- تركز على أهمية أن يكون الموضوع على موجة واحدة بين القائم بالاتصال و المستقبل.

- فالاتصال إذن هو العملية التي يتم بها تبادل وانتقال المعلومات والأفكار والآراء والأنباء والحقائق والرسائل والعقائد .. بين أفراد المجتمع الإنساني، ضمن طرق وأنساق اجتماعية متنوعة من حيث الحجم والمحتوى والرقى .. بغية إحداث الصلة والتفاعل بين أفراد المجتمع الواحد أو غيره عبر رموز معينة لإحداث التأثيرات اللازمة في الأفكار والعقائد والعلاقات .

3- الاتصال الدعوي:

يعتبر الاتصال عملية اتصال بامتياز تتوفر فيها كل اركان العملية الاتصالية من:

✓ القائم بالاتصال (الداعي).

✓ المستقبل (المدعو).

✓ الرسالة (موضوع الدعوة).

✓ الوسيلة: و تتميز بالدعوة الاسلامية بوسائل وخصائص تنسجم مع طبيعتها .

✓ رجع الصدى: درجة التأثير .

والدعوة الاسلامية من خلال طبيعتها كفريضة شرعية و ضرورة انسانية ومسلك حضاري تدور حول نظرية الاحسان و خلق الاتقان ومبدأ الابداع

ومسلك التميز ومما يميزها الاستفادة من النظريات الانسانية والنفسية والسلوكية و الأنثروبولوجية و الاجتماعية والاعلامية.

ومنها الاستفادة من الاستراتيجيات التي وضعت لتفسير علم البرمجة اللغوية العصبية و ما نتج عنها من علوم التفوق والتطوير والتدريب . ونشير هنا الى علم الانماط البشرية و الانظمة التمثيلية التي تساعد الداعي للقيام بواجب الدعوة على احسن صورة و اجود تطبيق و اتقن مسلك و اعلى مسار .

ان الدعوة الاسلامية عملية اتصالية بامتياز، تتميز عن باقي عمليات الاتصال و التواصل كونها عبادة و قربة و اتباع لهدي الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي كان يمارس مهارات التميز كموهبة فطرية وهبه الهية ومهنة عبادية، فأصبحت هويته التي تميزه عن باقي المصلحين ، فكان من الواجب اتباع اسرار النبوة و اعجازها من خلال العلوم المعاصرة.

ثالثا: تطبيقات و نماذج نبوية لفقه الهندسة النفسية:

سنشير هنا الى انموذج شامل و كامل لإدراك الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه الانماط (طبعاً كمسمى وممارسة قبل التنظير و التأسيس لهذا العلم) ، وأمثلة ذلك كثيرة تتنوع من خلال مسيرته الدعوية اقوالا و افعالا و تقارير كما قرر علماء الاصول .

و هذا المثال تم اختياره لاعتبارات التالية:

- شموله للأنماط البشرية و الانظمة التمثيلية.
- اهميته باعتباره من اواخر خطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
- اشاراته صلى الله عليه وسلم لعلوم و فنون ومهارات اكتشفت حديثا من خلال ما نتج عن ظهور علم البرمجة اللغوية العصبية في اواخر القرن الماضي.

ومن بين التقنيات و المهارات النبوية المعتمدة حديثا في عيادات العلاج السلوكي ومراكز التدريب المهاري و القيادي و نشير هنا الى :

1- العلاج بخط الزمن:

ان الوصول الى العقل اللاوعي الذي يتحكم في سلوك البشر من خلال البرمجة المسبقة ومن خلال تقنيات علم النفس السلوكي يمكن تغيير الكثير من المعتقدات و التراكمات السلبية و تغيير اتجاه البرمجة المسبقة السلبية الى برمجة ايجابية، ومن هذه التقنيات العلاج بخط الزمن .

والهدف منه تغيير العادات السيئة بالرجوع زمنيا الى زمن المشكلة ومحاولة توصيفها واداركها ثم الانتقال زمنيا الى عادة حسنة في الزمن المستقبل.

و هذا المثال النبوي يرسم معالج العلاج بخط الزمن :

O حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنْبَرِيُّ ، حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيَّةَ ، أَبَا أَيُّوبَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، عَنْ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ فِي حِجَّتِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيَاتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ : ثَلَاثُ مُتَوَالِيَاتٍ : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ ثُمَّ قَالَ : أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، فَقَالَ : أَلَيْسَ يَوْمُ النَّحْرِ قُلْنَا : بَلَى ، قَالَ : أَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟ قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، قَالَ : أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ ؟ قَا : بَلَى ، قَالَ : أَيُّ بَلَدٍ هَذَا ؟ قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، قَالَ : أَلَيْسَتْ الْبَلَدَةُ ؟ قُلْنَا : بَلَى ، قَالَ : فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ ، وَأَمْوَالَكُمْ ، وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، وَتَتَلَقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ ، أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ

بَعْضٍ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ لِيُبْلِغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ مِنْكُمْ ، فَلَعَلَّ مَنْ يُبْلِغُهُ يَكُونُ
أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ مَنْ سَمِعَهُ⁽¹⁹⁾ .

2- فنيات التنويم الايحائي:

و نقصد بالتنويم عملية في اليقظة (و ليس في النوم) و الهدف منه الوصول الى الموجة الدماغية المناسبة لتبليغ الدعوة و النصيحة.
"ان فهم دوران موجات الدماغ سيساعدك كي تتعلم كيف تسيطر عليها
وتستخدم القوى الموجودة في عقلك لمساعدتك في اتخاذ القرارات الجيدة.
يوجد اربع دورات رئيسية لأموال الدماغ:

-دورة موجة بيتا.

- دورة موجة الفا.

-دورة موجة ثيتا.

-دورة موجة دلتا.⁽²⁰⁾ "

ان الانتقال من موجة بيتا و هي موجة الانفعالات التي تصاحب الانسان في اعماله اليومية الى موجة الفا و هي موجة التحليل و تقبل المعلومات التي يفهما العقل الباطن ،ثم الوصول موجة تيتا يكون الجسم مسترخيا و يمكننا الوصول الى الباطن ،يمكن للممارس ان يقوم بتقنيات التنويم الايحائي يكون فيه العقل اللاوعي مستحضرا من تغيير الكثير من القناعات و المعتقدات السلبية والعادات السيئة ،ومحاولة برمجته من خلال احياءات تنسجم مع جرده الشخصي ومعرفة دقيقة لنمطه الخاص.

3- التحكم في قوانين العقل الباطن:

قرر علماء التنمية البشرية⁽²¹⁾ ان للعقل مستويان ،عقل واعي و عقل لاوعي ،و العقل اللاوعي

أو الباطن له قدرات عجيبة و كبيرة تنسجم مع عظمة الانسان . وقد عدد علماء البرمجة اللغوية العصبية ازيد من 250 قانون للعقل الباطن ،ذلك ان التحكم في هذه القوانين ضمان للنجاح

و التفوق و الابداع و هذا هو مسلك كل العظماء الذين كانت لهم بصمة في الحياة و اثر في الدنيا. و قدوة في النجاح.

من بين أهم هذه القوانين و هي مدرجة في النص النبوي الذي يلي:

✓ قانون التوقع.

✓ قانون التركيز.

✓ قانون الجذب.

✓ قوانين نشاطات العقل الباطن.....،

و هذه القوانين لا تتعارض مع عقيدة القدر كما يتصور الكثير من الناس، بل تنسجم مع علم الله و قدرته .

و المتبع لشخصيات الانبياء يدرك سر اختيار الخالق لهؤلاء البشر، الذين وصلوا من خلال استغلال مواهبهم و استثمار قدراتهم و تطوير مهاراتهم من خلال:

✓ البيئة الصحية المناسبة.

✓ البيئة اللغوية المساعدة.

✓ التأمل .

✓ الاعتماد على النفس.

4- مهارة العصف الذهني:

وهي من المهارات السيادية المعتمدة في مجالس الإدارة في المؤسسات العملاقة، والهدف منها الخروج من الممارسات التقليدية في الاجتماعات والخلاف والازمات، وتقوم هذه المهارة على أساس الاستفادة من المعلومات والافكار المخزنة في العقل الباطن.

وتتلخص في ما يلي:

✓ عصف الذهن من خلال الاسترخاء و التخلص من التوتر و الضغط .

✓ تدوين كل الافكار و المعلومات التي تخطر بالبال مهما كان عند

تصور مسبق عنها من حيث الاهمية أو الصواب.

✓ الكم الكبير ينتج الكيف الجيد.
✓ عدم مناقشة اي فكرة في المرحلة الابتدائية ،حتى لا يتدخل العقل الواعي في هذه المرحلة.

✓ عرض الافكار بعد تمحيصها وتصفيتها والاستحضار العقل الواعي للتحليل و النقد و الاختيار.

وهنا نشير الى عبقرية الرسول صلى الله عليه و سلم في التعامل مع الاحكام الشرعية،ذلك أن التشريع الاسلامي وضع اصولا كبيرة و مبادئ رئيسية و فتح المجال واسعا لعملية افراغ الوسع (أي الاجتهاد) و فسخ المجال لعبقرية الانسان في التعامل مع النصوص ظنية الدلالة.

وهنا نشير الى تعامل الرسول صلى الله و سلم مع معاذ بن جبل، لما هياه ليقوم بعملية العصف الذهني الذاتية في عملية القضاء .

0 حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غُمَرَ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي عَوْنٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ أَخِي الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنْ أَنَسٍ مِنْ أَهْلِ حِمَصٍ، مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟»، قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟»، قَالَ: فَيَسْتَنِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟» قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي، وَلَا آلُو فَضْرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرَهُ، وَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ»⁽²²⁾.

و الامثلة النبوية كثيرة ومتعددة تنسحب على سنته صلى الله عليه و سلم في عملية الاتصال النبوي الدعوي.

رابعا:خاتمة و توصيات:

ان الرسول صلى الله عليه و سلم يمثل منهج اتباع و سبيل نجاة شاء الخالق ان يكون بشرا مثلنا: "...يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ "⁽²³⁾،

يتصف بالكمال البشري روحا ونفسا وجسما وعاطفة، فكانت سنته القولية والفعلية والتقريبية تجسيدا شرعيا وواقعا وموضوعيا لمصالح العباد في الاجل والعاجل وضمنان الفلاح و الفوز في الدنيا و الآخرة.

فكانت سنته صلى الله عليه و سلم كتاب مفتوح لمعجزة الله في الارض وهديته للإنسان العظيم الذي كرمه الله وميزه ورفع قدره ، فكان التشريع الاسلامي يدور حول الانسان من خلال:

- ضرورياته.
- حاجياته.
- تحسينياته.

ومن اعظم ايات الله المخلوقة "الانسان" قال الله تعالى: " وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ - وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" ⁽²⁴⁾. فهذا الكون الواسع الكبير المدهش يقابله كون اخر لا يقل عنه سعة و تعقيدا ،ولا ينفص عنه اثارة واعجابا. ذلك هو الكون الداخلي للإنسان. لذلك جعل للإنسان اية في الكون الخارجي كما جعل له اية في الكون الداخلي: قال تعالى: "سنريهم آياتنا في الافاق و في انفسهم" ⁽²⁵⁾... وكما ان للكون الخارجي قوانين تحكمه وسنن تنظمه وضعها الله تعالى، و جعل للإنسان سلطانا في الكشف عنها وتسخيرها له، فكذلك الكون الداخلي للانسان تحكمه قوانين و تضبطه سنن اودعها الله فيه ، و هيأ للإنسان مقدرة للكشف عنها و تسخيرها له" ⁽²⁶⁾.

واعتقد جازما ان التطور الغربي في شتى شؤون الحياة راجع بالدرجة الاولى لتحكمه في علم التنمية البشرية علما و فنا وممارسة ،تنظيرا و تأسيسا وتفعيلا. حيث ظهر هذا العلم في أواخر السبعينات الميلادية على يد عالمين استطاعا أن يرسموا الخطوات الأولى لهذا العلم، الأول هو عالم الرياضيات (ريتشارد باندلر) والثاني عالم اللغويات (جون جرندر).

و انتهب المؤسسات الرسمية لهذا المنعطف الهام في تاريخ الانسان حيث وظفت هذا العلم من خلال فرضياته و مهاراته و نماذجه و استراتيجياته في شتى شؤون الحياة ، فظهرت الكثير من الازهاصات التي حولت المجتمعات الغربية الى نماذج في :

- ادارة الاعمال.
- فنون التسويق.
- ادراك الاجتماعات.
- ادارة الخلاف.
- ادارة الوقت.
- ادارة الازمات.
- مهارات القيادة .
- مهارات الاتصال و التواصل.
- فنون اللقاء.
- مهارات التأثير.
- التفوق المدرسي.
- العلاقات الزوجية.
- تربية الاولاد الى غير ذلك....

وما نراه من خلل في بعض النماذج راجع لغياب الجانب الروحي في التعاملات، مع هذا فالحكمة ضالة المؤمن.

لقد كان رسول الله نموذجا رائعا في الاتصال والتواصل وفي كل ما سبق بطريقة متميزة ومبدعة، فاردنا ان نحبي سنته ونشرحها من خلال العلوم المعاصرة ان فقه الانماط البشرية واستيعاب الانظمة التمثيلية للإنسان منطلقا اساسا ومدخلا مهما في عملية الاتصال الانساني ، وباعتبار اننا امة دعوة وشهادة ورسالة رحمة لكل البشر ، فمن الواجب اعتماد الاتقان و الاحسان مسلكا وهدفا .

واخيرا:"انت ايضا يمكنك ان تصبح واعيا مدركا لما يدور حولك
،لمجريات حياتك عندما تصبح مدركا لنقاط القوة و نقاط الضعف لديك
..يمكنك ان تقوم بجميع التعديلات اللازمة لتعيش حياة اكثر سعادة و اكثر
وفرة"⁽²⁷⁾.

ومن معاني القوة العميقة قوة الذات و التحكم فيها و معرفة الاخر
معرفة علمية تجعل من الداعية ناهجا وموفقا ومبدعا، و هذه هي عبادة الاتقان
و منهج الاحسان.

والله اعلم وهو الموفق

الهوامش:

- 1- الاسراء ،36.
- 2- محمد التكريتي، افاق بلا حدود ،دار المعارج، ط 3،1999،الرياض،المملكة العربية السعودية، ص 21.
- 3- انظر محمد التكريتي، افاق بلا حدود ،دار المعارج، ط 3،1999،الرياض،المملكة العربية السعودية،61 و 63
- 4-أبو الفضل العراقي،المغني عن حمل الأسفار، تحقيق: أشرف عبد المقصود، ج 1 ص.484
- 5-مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ،جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط، ح 11، ص. 243
- 6-علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق بكرى حياني، ج 7، ص 146.
- 7-أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ،المعجم الأوسط،، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ج 1 ص 187.
- 8-الحسن بن أحمد الرباعي، فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار، تحقيق فريق من الباحثين، ج 21 ص 54.
- 9-السنن الكبرى المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)المحقق: محمد عبد القادر عطا الناشر، 1424 هـ - 2003 م، ج 7 ص 244.

10- العرياض بن سارية المحدث: الجورقاني -المصدر: الأباطيل والمناكير-

الصفحة أو الرقم 1/472 :

خلاصة حكم المحدث: صحيح ثابت مشهور.

11-: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران

الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج 1 ص 25.

12-سهيل إدريس وآخرون ، المنهل ، دار الآداب ، بيروت ، الطبعة السادسة ،

1980م ، ص 225 .

13-جيهان أحمد رشتي ، الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، دار الفكر العربي ،

القاهرة ، دون طبعة ، 1975م ، ص 41 .

14-شون ماكبرايد وآخرون ، أصوات متعددة وعالم واحد ، الشركة الوطنية للنشر

والتوزيع ، الجزائر ، دون طبعة ، 1981م ، ص 575 .

15-جيهان أحمد رشتي ، الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، ص 42..

16-شون ماكبرايد وآخرون ، أصوات متعددة وعالم واحد ، ص 576

17-جيهان أحمد رشتي ، الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، ص 44 .

18-زين العابدين الركابي ، نحو نظرية إسلامية في الإعلام ، مجلة المسلم المعاصر ،

عدد 10 ، ربيع الثاني 1397هـ 1977م ، ص 61 .سورة القصص : آية 50 .

19-سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، الاحاديث الطوال ، تحقيق ،

حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، 25 ص 319.

20-انظر ابراهيم الفقي، اسرار القوة الذاتية ،ص 241-242.

21-خاصة ريتشارد باندلر وجون جرندر.

22-أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي

السَّجِسْتَانِي، سنن أبي داود،المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج 3، ص 303،رقم

3592.

23-سورة الفرقان الآية 7.

24-سورة الذريات اية 20-21.

25-سورة فصلت الآية 53

26-افاق بلا حدود ،محمد التكريتي، ص 19.

27-ابراهيم الفقي،اسرار القوة الذاتية،شركة الابداع الفكري للنشر و التوزيع

،الكويت، ط1، 2010، ص25.

